**إشكالية التعامل مع المصطلح اللساني في مذكرات الماستر ورسائل الدكتوراه**

د/ إبراهيم بشار/ جامعة بسكرة

**تمهيد: مفاهيم أساسية**

ليس هناك اختلاف كبير في ترجمة المصطلح الإنكليزي (Terminology)؛ إذ إن أغلب الدارسين نقلوه إلى العربية عبر مصطلحين: علم المصطلح والمصطلحية.

تُعرّف المصطلحية بأنها: "الدراسة العلمية للمفاهيم والمصطلحات التي تعبّر عنها في اللغات الخاصة، وغرض علم المصطلح إنتاج معاجم مختصّة، وهدفه توفير المصطلحات العلمية والتقنية الدقيقة التي تُيسِّر تبادل المعلومات، وغايته نشر المعرفة العلمية لإيجاد مجتمع المعرفة القادر على تحقيق التنمية الشاملة من أجل ترقية حياة الإنسان ورفاهيته." [[1]](#footnote-2)

إن المصطلحية مبحث لساني حديث قد أدى إليه النظر المعمق في المصطلحات خاصة المولّدة منها، للتعبير عن المفاهيم المستحدثة في مختلف العلوم والتقنيات، وبهذا تكون مادته (المصطلحات العلمية والفنية) أسبق من ظهوره. وقد عني به المحدثون في النصف الثاني من القرن العشرين؛ وبحثوا في أطره النظرية وإجراءاته التطبيقية وفي علاقاته مع مختلف العلوم، ووقفوا عند ركائزه كالتوليد والمفهوم والتقييس والتكنيز ورقيا ورقميا. [[2]](#footnote-3)

* **بين المعجمية والمصطلحية:**

يفرّق الدارسون للغة بين مستوياتها التواصلية؛ عامّية وفصحى، شفوية ومكتوبة، عامة وخاصة /قطاعية، فللغة العامة أسلوب تواصلي يُستعمل في التواصل اليومي، وللغة الأدبية أسلوب جمالي يستخدم في النثر الفني والشعر وبقية الأجناس الأدبية، وللغة العلمية أسلوب علمي مجرّد تُدوّن به نتائج البحوث العلمية، كما تنفرد اللغة التقنية بأسلوب مهني يتناسب مع التطبيقات العملية. [[3]](#footnote-4)

من هذه الزاوية اختلف الدارسون في علاقة المعجمية بالمصطلحية؛ فهناك من رأى أن العلاقة بينهما علاقة عموم وخصوص أو امتداد؛ أي إن المصطلحية فرع من المعجمية تكمّل الدلالات الخاصة بالعلوم والفنون، وهناك من عدّ المصطلحية علما مستقلا بذاته له أبعاده المختلفة عن المعجمية.

إنّ ارتباط العلمين واضح وجلي عند كل ذي نظر، فاللغة تتراوح بين العموم والخصوص بطريقة يصعب معها البت، وكثيرا ما يكون السياق هو الفيصل بين الاستعمال العام والاستعمال الاصطلاحي للكلمة، كما أنّ "اللغة الخاصة جزء من اللغة العامة، وتعتمد في وجودها عليها، وتستقي معظم عناصرها فيها، ولكنها أقلّ منها كمّا وأكثر منها دقة. فاللغة الخاصة نوع مقنّن ومرمَّز من أنواع اللغة العامة." [[4]](#footnote-5)

ويستطرد إبراهيم بن مراد في الأمر ليجعل علم المعجم ينقسم إلى فرعين:المعجمية والمصطلحية، وكلاهما ذو شقين: نظري (معجمية/ (lexicology و(مصطلحية/terminology) وتطبيقي(صناعة المعاجم/ (lexicography وصناعة معاجم المصطلحات/ (terminography. وذلك على نحو ما هو موضّح في المخطط الآتي:

معجمية المصطلحية

**علم المعجم**

المعجمية المعجمية

العامة المختصة

صناعة المعاجم وضع المصطلحات

**مخطط يوضّح العلاقة بين المعجمية والمصطلحية**

لقد ساعد التطور الهائل في صناعة الحاسوب ونمو المصطلحية على ظهور بنوك المصطلحات؛ حيث يتمّ فيها تخزين المصطلحات وتوثيقها والبحث فيها وإخراجها في معاجم أحادية اللغة أو ثنائيتها. وقد عقدت بنوك المصطلحات أول مؤتمر دولي لها في مقر مركز المعلومات الدولي للمصطلحات بفيينا في أفريل 1979، وتوصّلت إلى أسس لتوثيق التعاون بينها وتيسير تبادل المعلومات في هذا المجال.

واستكمالا لضبط المفاهيم المركزية في الدراسة نقف عند حدود المفهوم والمصطلح:

* المصطلح: "لغة خاصة أو معجم قطاعي يسهم في تشييد بنائه ورواجه أهل الاختصاص في قطاع معرفي معيّن. ولذلك استغلق فهمه واستعماله على من ليس له دراية بالعلم الذي هو أداة لإبلاغه، إلا أن هذه اللغة القطاعية تتصل باللغة العامة المشتركة، ولا تكاد تخرج عن الأصول العامة التي تتحكّم فيها. كما أنّ هذا المعجم القطاعي يصدق عليه كثيرا مما يصدق على المعجم العام من ضوابط صرفية ودلالية وتركيبية وصوتية."[[5]](#footnote-6)
* المفهوم: في أحدث تعاريفه، "تمثيل فكري لشيء ما (محسوس أو مجرد) أو لصنف من الأشياء لها سمات مشتركة، ويُعبّر عنه بمصطلح أو رمز." [[6]](#footnote-7)

ونلحظ في العصر الحديث اهتمام المجامع اللغوية بتعريب المصطلحات العلمية والتقنية ونشرها في مجلاتها حتى تواكب ذلك التسارع الرهيب في التطور العلمي، وأهم هذه المؤسسات: [[7]](#footnote-8)

* مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
* المجمع العلمي العراقي ببغداد.
* مجمع اللغة العربية بدمشق.
* مجمع اللغة العربية بعمان.
* أكاديمية المملكة المغربية بالرباط.
* مكتب تنسيق التعريب بالرباط. [[8]](#footnote-9)
* **تقنيات وضع المصطلحات:**

يعد وضع المصطلحات عملية إبداعية يقوم بها المتخصص أثناء قيامه ببحثه حين تلجئه الضرورة إلى ذلك، وهو يقوم على ثلاثة أركان أساسية هي: [[9]](#footnote-10)

- المعرفة العلمية الدقيقة بالشيء المراد تسميته.

- القدرة اللغوية وتحوي المعرفة بقوانين اللغة ومعجمها وطرق التعبير عنها.

- سعة التخيّل التي تجعل المتخصص قادرا في وقت وجيز على الربط بين الركنين الأولين.

فلا بدّ من توفّر هذه الأركان الثلاثة لكي يتمكّن المتخصّص في علم المصطلح بمهمة وضع المصطلح اللساني وضبط منهجيات صياغته. وعلى حد قول الفاسي الفهري أن جل مفاهيم اللسانيات الحديثة جديدة كما يعتقد، ولابد من اقتراح مقابلات لها تخرج في أغلبها عن المعجم المتوفّر، ومن هنا ضرورة اللجوء إلى التوليد.

ولمصطلح التوليد تسميات عديدة من بينها المولّد Neologism وهو من المصطلحات التي عرفت تطورا في العربية، فقد كان يطلق عليه سابقا حداثة الكلام وجدة الكلام، ولفظة جديدة ومعنى جديد وكذلك المستحدث.

إن توليد وتوالد المفردات يخضع لمبادئ وقيود نظرية ومنهجية من شأنها أن تكون علما مستقلا هو المصطلحية، وبديهي أن يكون هذا العلم فرعا من فروع علم اللسان، وأن يستورد أصولا نظرية وحلولا علمية من هذه الفروع، فمن موارد بناء هذا العلم ضوابط التوليد.

* **مشكلة توحيد المصطلح:**

طُرحت قضية توحيد المصطلح بمجمع اللغة منذ نشأته، وذلك عبر مقالات وبحوث عدة، ولعلّ أوّل من نبّه إلى قضية توحيد المصطلحات في المجمع هو المستشرق الإيطالي نلينو(Nallino)، وذلك في الجلسة الحادية عشر من الدورة الأولى للمجمع، وقد أيّده علي الجارم.

وبعدها اتّخذ المجمع ثلاثة قرارات في موضوع توحيد المصطلح:

* الاصطلاحات العلمية والفنية يجب أن يُقتصر فيها على اسم واحد خاص لكل معنى.
* في شؤون الحياة العامة يختار اللفظ الخاص للمعنى الخاص، فإذا لم يكن هناك لفظ خاص أوتي بالعام ويُخصَّص بالوصف أو الإضافة.
* يُنطق بالاسم المعرّب على الصورة التي نطق بها العرب. [[10]](#footnote-11)
* **رسائل الدكتوراه والمصطلح اللساني:**

أهم النقاط التي سجلناها من خلال الاطلاع على عينات من رسائل الدكتوراه:

* عدم ضبط المصطلحات الخاصة للمفاهيم الخاصة، فتجد الباحث يتلاعب بمصطلحات متباينة للمفهوم الواحد، نذكر على سبيل المثال: اللغة واللسان، الجملة والملفوظ والتلفظ، الاتساق والانسجام، البنائية والبنيوية، المستوى المعجمي والمستوى الدلالي، السياق اللغوي والمقام.
* إصرار بعض العلماء على الخصوصية والفرادة وربما على الجهوية أفضت بهم إلى المحافظة على المبادرات الاصطلاحية التي رافقت ترجمة المصطلح اللساني، مثل علم اللغة واللغة المعيّنة، غير مبالين بجودة المصطلح الجديد ودقته وحالة الاستقرار التي بلغها ولا بقرارات المجامع ومكاتب التعريب (اللسانيات أو اللسان).
* استعمال مقابلات مصطلحية مختلفة للمفهوم نفسه؛ فتجد في البحث الأكاديمي الواحد عدة مصطلحات للمفهوم؛ ولعل هذا الأمر يرجع إلى أمرين: الأول هو تأثر الطالب بأصحاب المراجع التي اعتمدها؛ فيميل حيث يميلون؛ هائما في كل واد؛ فمحمد خطابي يستعمل الاتساق وتمام حسان يستعمل السبك ومحمد مفتاح يستعمل التنضيد، والأزهر الزناد يقول بلسانيات النص وبحيري يذكر علم لغة النص وهكذا مع بقية المصطلحات: (مورفيم/ صرفيم/ وحدة صرفية)، (صوتم/ صوتيم/ صرفيم/ وحدة صوتية)، (السنتاكس/ علم التركيب/علم النحو).
* عدم ضبط مصطلحات الدراسة بدقة وعمق؛ فعوضا من أن يستفرغ الطالب جهده في تدقيق مصطلحاته وبناء جهازه المفاهيمي وتحديد مفاتيح ممارسته الإجرائية، من خلال العودة إلى قرارت المجامع والهيئات المتخصصة ومعجمات المصطلحات، ينقلك الطالب الباحث من لسان العرب (القرن السابع الهجري) إلى مقولات معزولة لباحثين مغمورين وغير متخصصين.
* افتقار مكتبة الرسائل الجامعية للمصادر الأساسية للمعلومة، أو تقزيم تأثيرها في البحث بسبب هيمنة الكتب التعليمية والتلفيقية (خصوصا مع فتح الشابكة على الجميع)، وهذا ما يحدث تفاوتا في المستوى واضطرابا في التفكير؛ فلكل علم رجالاته، إذ لايمكن أن نغفل في بحث عن المعجمية أحمد مختار عمر أو علي القاسمي أو رشاد الحمزاوي أو عبد القادر الفاسي الفهري.
* عدم بناء بحوثنا على الدراسات السابقة، فصرنا نغرق في الوحل متطلعين إلى القادة السفلية للهرم؛ فهل يعقل أننا مازلنا في إعادة مناقشة قضايا قتلت بحثنا من السابقين في كل مجال، ونعقد لها مباحث تنوء بالعصبة، مسترقين النظر إلى الكتب المستعملة من قبل الباحثين، وهذه أبشع سرقة علمية يلجأ لها الباحثون، وهي أخذ هيكل البحث وتأصيلاته وبناء أفكارها وترتيب مصادره مكتفيا بالباحث بالتأكد من المراجع؟
* عدم تمييز الباحث بين المدارس اللسانية بأصولها الفلسفية والمعرفية في التعامل مع المصطلحات، فالجملة أكبر بنية في نظر البنويين لأنها آخر ما يتعلمه الطفل (صوت ثم مقطع ثم كلمة ثم جملة) ويتواصل به، فهي تأليفات صوتية لكنها عند التوليديين قالب نحوي مركوز في الذهن، وعليه لا يبني الباحث معلوماته عن مصطلح الجملة مثلا دون التمييز بين هذه الرؤى المتباينة.
* عدم التمييز بين المفهوم التراثي للمصطلح والمفهوم المعاصر في رحلته الزمانية (الجملة، الكلام، المعجم، التكرار)
* عدم التمييز بين مفاهيم المصطلحات الراحلة من مجال معرفي إلى آخر؛ فمثلا مصطلح "المولّد" يعني اللفظ المحدَث الذي جاء بعد عصر الاحتجاج عند علماء اللغة، ويعني العربي غير المحض في كتب تاريخ الأدب والأعلام ، والمولّد صارت تعني المصطلح الجديد مأخوذة من التوليد الذي يعني ابتكار صيغ جديدة للتعبير عن مفهوم ما، وكلمة توليد نفسها تستأثر بمفهوم خاص عند أتباع شومسكي).
* **الحلول**
* الاطلاع على الدراسات السابقة عموديا، من خلال التتبّع التاريخي للمصطلحات والمفاهيم من جهة والموازنة بينها أفقيا عبر كشف العلاقات التي تربطها بالمفاهيم المجاورة والمصطلحات الموازية في مختلف الأجهزة النظرية.
* الاستفادة من معجمات المصطلحات خصوصا التي تتبناها مكاتب التعريب أو المجامع ويشرف عليها كبار اللغويين.
* ضرورة تبيئة المفاهيم الوافدة وتوليد المصطلحات بطريقة علمية توافقية، فلا يأخذنا الاعتزاز بلغتنا وتراثنا إلى إكراه مفاهيم معاصرة بارتداء مصطلحات عربية قديمة لها سياقها المعرفي الذي نشأت فيه. فصار الباحث ما إن تظهر نظرية جديدة أو مصطلح جديد حتى يسارع إلى إسقاطها على التراث العربي؛ فمن الغرابة أن يكون الجرجاني بنويا وتوليديا وسياقيا ونصيا وتداوليا في الآن ذاته، ومن التهافت أن أجد النظم معادلا اصطلاحيا للاتساق وللتركيب وللوظيفة وللنص وللخطاب.
* وفي المقابل ندعو أنفسنا إلى ضرورة التثبت في تلقّي المفاهيم الغربية ومصطلحاتها، إذ قبل أن ننقل المصطلح الأجنبي ونقحمه في دراساتنا منتشين بفضل السبق علينا أن نراعي المسؤولية الأخلاقية والأكاديمية تجاه لغتنا؛ فنبحث عن المقابل العربي وننشره في أوساط الباحثين خصوصا أن اللعة العربية واسعة ومرنة بما تميزت به من أنواع الاشتقاق؛ فالحركة في العربية قد تغير معنى الكلمة فضلا عن الصيغة. لأن المصطلح الأجنبي إذا شاع وانتشر فأنّى لنا أن يُستبدل. خذ مثالا على ذلك الفونيم والمورفيم.

و صفوة القول إن مفاتيح العلوم مصطلحاتها، فلا تفتح أبواب المعارف ولا نستوعب المناهج إذا لم نتمكن من ضبط حدود المفاهيم والمصطلحات، لذا على الباحث أن يتبنى مصطلحا واحدا، يختاره بدقة ولا يميل حيثما مالت مراجعه التي وثّق منها، كما لا بد له من العودة إلى قرارات الهيئات المتخصصة من أجل توحيد الرؤية والارتقاء بالبحث اللساني.

1. علي القاسمي، علم المصطلح-أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، مكتبة لبنان-ناشرون، صائغ، ط2، لبنان، 2008، ص 11 [↑](#footnote-ref-2)
2. ينظر: إبراهيم بن مراد، "المصطلحية وعلم المعجم"، **مجلة المعجمية**، العدد:08، تونس، 1992، ص 05، 06 [↑](#footnote-ref-3)
3. ينظر: علي القاسمي، علم المصطلح-أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، ص 94 [↑](#footnote-ref-4)
4. ينظر: علي القاسمي، علم المصطلح-أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، ص 94 [↑](#footnote-ref-5)
5. عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، دار توبقال، الدار **البيضاء**-المغرب،1985، 2/ص 228 [↑](#footnote-ref-6)
6. علي القاسمي، علم المصطلح-أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، ص 366 [↑](#footnote-ref-7)
7. ينظر: علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم، ص ن [↑](#footnote-ref-8)
8. ينظر: محمد رشاد الحمزاوي، العربية والحداثة أو الفصاحة فصاحات، ص 90، 91 [↑](#footnote-ref-9)
9. ينظر: سهام السميدي، "خصائص المصطلح اللساني التوليدي وطرق نقله"، المجلة العربية للنشر العلمي، كانون الثاني، 2021، العدد: 27، ص 623 [↑](#footnote-ref-10)
10. ينظر: محمد رشاد الحمزاوي، العربية والحداثة أو الفصاحة فصاحات، ص 100، 101 [↑](#footnote-ref-11)